رامس

قصة مصرية عصرية

سكون — سكون !

الوقت منتصف الليل واجنحة ملاك النوم تخفق فوق المدينة الجميلة

النوم . ما هو النوم — وكأني منذ جيل كامل لم انم — ومن ينام في هذه الايام غير الاطفال والعملة الذين يحفرون التراب اما نحن ، نحن الذين نحلم وتخيل فاننا لا ننام ابداً . وفي الساعات القليلة التي تمرّ بين منتصف الليل وانبثاق الفجر نستلقي في اسرّتنا على سبيل العادة — لا لننام بل لتخيل ونحلم

دعني اتأمل . اين انا الآن ؟ هذا هو شارع عماد الدين . لقد اجتزته الى شارع فؤاد وانا الآن امام تمثال ابراهيم باشا لقد انتهى التمثيل في الاوبرا الملكية وارى الناس يخرجون افواجاً . هذا مصطفى باشا وهذا حسن بك وهذا نسيبي احسان يدخل سيدة اجنبية الى سيارته ويجلس معها . وهـذا استاذي القاضي في المحكمة المختلطة وصديق والدي القديم . وهذا رشدي باشا ايضاً ، انا اعرف جميع هؤلاء وهم يعرفونني ايضاً . لكن لو تقدمت اليهم الآن وقلت اني انا رامس بك خالد ابن احمد باشا خالد الشهير .. .. يا لها من رواية مضحكة : اني لن اجد بينهم من يصدقني — لا بل قد يضربني نسيبي احسان بعصاه ويصيح بي — اسكت يا حشاش — رامس رحمهُ الله مات منذ زمن طويل

— لا انكر انني حشاش لكنني رامس خالد ايضاً . من يصدق ذلك ورامس اختفى منذ عشر سنين ومات والدهُ حسرة عليهِ — لكن ما هذه الذكريات المؤلمة وما الداعي الى اعادتها الآن ؟

كنت امشي امس امام فندق شيرد. مررت امام بائع الكتب فابصرت كتابي الذي انتهُ منذ خمس عشرة سنة يباع بعشرة غروش . تمنيت لو كان معي هذا المبلغ فاشتريه واقرأهُ لارى كيف كنت افكر في ذلك الزمن — هـذا فصل مضحك آخر — رامس الحشاش كان بالامس كاتباً ومؤلفاً ! ايتها الاقدار — حتى مَ تهزئين باليشرية وتمثلين ادوارك الغريبة في ابنائها التاعسين ؟ نعم ! كنت مؤلفاً وشاعراً وعالماً ووارثاً

لالوف الافدنة من اجود الاطيان في مصر. اما الآن فانا رجل فقير معدم حافي القدمين تستر جلابية زرقاء قذرة. لقد غارت عيناي وبرزت خدودي ودخل وجهي وطال شعر ذقني ورأسي الى حد غريب. اقضي نهاري مستلقياً على ظهري في غرفة ضيقة مظلمة قذرة في الطبقة العليا من منزل قديم بجوار الازهر الشريف — حتى اذا ارخى الليل سدوله خرجت اطوف شوارع مصر وانا داخل الفكر مشرد الذهن اسعى في غير مسعى. كنت انفق الاموال على الفضيلة وعمل البر والاحسان، اما الآن فقد اقدم على جريمة في سبيل الحصول على خمسة غروش. اعطني خمسة غروش افعل ما تريد — اسرق وانهب واقتل لاضم كفي على تلك القطعة الفضية لاني استطيع ان اشتري بها ذلك المحوق الابيض الذي يحول فقري الى ثروة، وشقائي الى سعادة، وجلابيتي القذرة الى دمقس وحرير، وغرفتي المظلمة الى عرش في قصر. ذلك المحوق الذي يجعلني فجأة ملكاً عظيماً بدلاً من فقير بائس معدم. كم مرة وقد ارخيت العنان للذتي وتخيلاتي امرت المارشال ادمند هنري هنن اللنبي ان يخضع لي فخر الى الارض صاغراً مستغفراً! كم مرة امرت جيش الاحتلال بالخروج من مصر فخرج ينفض وقضيضه! لكن هؤلاء الانكليز اصحاب مكر ودهاء انهم يخرجون في الليل فاذا جاء النهار يعودون

انا ساخرج الانكليز من مصر — كن شاهداً على كلامي يا شباب مصر الناهض — اشهدوا على ما اقول يا اخواني الكثيري العدد المنتشرين في كل زاوية ومكان من هذه المدينة الثائر بغية الجبلة — ساعدوني على ذلك. تعالوا نتناول في وقت واحد نشقة من ذلك المحوق الساحر وتأمر الانكليز بالخروج فيخرجون

لكن لا — اني لا اقوى الليلة على اخراجهم — ها انا اشعر كأني اعود الى صوابي ورشدي. لقد اثر في مظهر الهدو والكمال والتعقل الذي شاهدته في انسبائي واصدقائي الاقدمين في اثناء خروجهم من الاوبرا الملكية. هذه هي المرة الاولى التي اعود بها الى تعقلي ورزانتي فاستطيع ان افكر. منذ خمس سنين لم افكر قط وها انا الآن اذرف دمعة حارة على نفسي وعلى مصر — مصر مصر — هل تعرفين من هم ابناؤك الساكنون في جوانبك المتظلمون بظلالك؟ هل ترتعش مصر غيبة وحزناً اذا بحث لها بالحقيقة المرة عن ابنائها الكثيرين امثالي؟ أليس من الواجب ان تسمع مصر حقيقة الامر مجهر بها فتى من ابنائها

ايها المصريون — انا واحد من الالوف امثالي في مصر. انا واحد من الوف

من ابنائكم الذين لا يأكلون ولا ينامون لكنهم يعيشون على استنشاق ذلك الهواء الابيض علة خراب مصر ودائها العضال . انا واحدٌ من الوف الضحايا ، انا ابن من ابنائكم ايها الآباء — انا كنت اسير في الشوارع ايام الحركة القومية واهتف مع اخواني بين عديد « لتحيى مصر » « ليحيى الاستقلال » — ان العدو على الابواب — وليس العدو انكلترا ولا اوربا — ليس العدو فيالق الجنود ولا بوارج الاسطول ولا اسراب الطيارات . ان العدو هو ذلك الهواء الناعم .... بلى ، خير لمصر ان تعرف من نحن الذين نخون مجدها . خير لمصر ان تنتج عينيها لترى الهلاك الذي يحيق بها . لو اقتصر ذلك الخطر على طبقة الافندية والمتعلمين لهان امرهُ قليلاً — لكن خطر الداء قد تفشى واستفحل . انتشر في سواد الامة ، انتقل بالعدوى من المتعلمين الى الفلاحين ، وحياة مصر فلاحها

قد تضل طبقة المتعلمين وتسقط فينهض بدلاً منها طبقة اخرى من ابناء الامة تحترف العلم وتضع يدها على محراث الادب وتسير بالشعب الى غايات العمران الرفيعة . لكن اذا فسد الفلاح ايضاً فمن يصلح مصر — اذا فسد كيان الامة — اذا تسلط ذلك السم على فلاحها فقل على مصر السلام

***

يبتدئ تاريخ حياتي بالحب . وهكذا يبتدئ تاريخ كل رجل وامرأة . كان والدي غنياً جداً . ورث غناهُ عن والده الذي شغل منصباً رفيعاً في زمن اسمعيل — وكنت انا وحيدهُ . لم يبخل عليَّ بالتعليم العالي فارسلني الى اوربا ولما رجعت كان لي شأن في الحركة القومية على ايام مصطفى كامل . كنت شديد الميل الى الاصلاح الداخلي فانشأت سلسلة مقالات نشرتها في جريدة المؤيد . وقد كنت اجيد الشعر ، وارغب في الادب ، ويطيب لي حديث اهل العلم والفضل . ولي في مكاتب القاهرة غير مؤلف واحد في مباحث شتى . لقد تزوجت وكتبت والفت قبل ان استسلمت الى هذه التخيلات الفاسدة التي قادتني الى هذه الهوة العميقة . لا اعلم كيف عاودني شعوري الآن فتذكرت كل هذه الامور التي نسيتها منذ زمن طويل . انا اكره ان اتذكر من انا . ايتها الافكار القديمة المندثرة — لماذا تهاجمينني بهذه الشدة . منذ خمس عشرة سنة وانا تائه الفكر لا اريد ان اتذكر . وها انا الآن اشعر ان التذكارات القديمة تدفع عليَّ كنهر جارف فاضطر الى الذكرى . اود ان اتذكر شيئاً من الماضي قبل ان اتناول هذه (التشيقة)

الاخيرة التي تجعلني على اعتقاد اللذة والسعادة واطلب الى عالم لا ذكرى فيه ولا ألم ولا معرفة ولا اصحاب ولا اهل ولا اسرة . ان جميع اعصابي تتحرك الآن هاتفة توّاقة اليها. ان دمي يغلي كبركان من نار متدفقاً وراء تلك اللذة . ان رغبتي وارادتي وروحي تطير اليها، فيها اعيش ولاجلها اموت . ابعد عني الكوكايين أمت . اسمعهُ عني القمر . هل للحياة معنى بدون ذلك الساحر الابيض — ان هي الاَّ ايام طويلة باردة مملة لا لذة فيها ولا نور

قلت اني احببت ، واقول الآن اني بنيت على ذلك الحب اساس آمالي ومستقبل سعادتي . احببت فتاة انزلتها منزلة الحياة من قلبي . كنت اشعر ان روحي تسكب في روحها وحياتي تتدفق من حياتها. لم ابخل عليها بكل ما يملكهُ قلبي . لكنها كانت اجنبية وكنت مصرياً ، وقد صدق كبلنغ حينما قال : الشرق شرق والغرب غرب

لو سكبت حبي عند اقدام مصرية لعبدتني . لو احببت فتاة من بنات قومي لعرف فضلي وقدر حبي قدرهُ . لكني نزعت الى مختلف من الاخلاق والمشارب والعادات . والزواج من فتاة لا تربطك بها الوف السنين من التقاليد والامزجة لهو زواج خطر في اكثر الاحيان

وكنت احب خطيبتي — عفوك ايها القارئ — بل كنت اعبدها وعبادة المحبوب قديمة جداً في الناس . وكنت موظفاً في وزارة الاوقاف والوظيفة في الحكومة هي غاية ما يطمح اليهِ الشاب المصري . وكنت اذا انتهى عملي اقصد الى خطيبتي اجلس اليها واحدثها واتنزه معها. وقضينا كذلك ردحاً من الزمن يلازمنا صفو العيش وهناءة الحب

ذهبت ازورها في احد الايام فامتنعت عن مقابلتي بدعوى انها مريضة . رجعت من حيث اتيت وارسلت اليها رسالة حب وباقة ورد ولم اشاهدها طول ذلك الاسبوع لانها — على ما علمت بعد ذلك — كانت تتعلل المرض . واجتمعنا اخيراً فكانت نظراتها قاسية باردة خالية من لمعان الحب الذي تعودت ان اشاهدهُ فيها. لم تكن مريضة لكن عذاباً داخلياً شديداً كان يفري مهجتها

فقلت متأثراً : مرضت ! ما الذي يخامرك ؟

بكت دون ان تتكلم وكانت عبراتها تتحدر بهدوء على وجنتيها وهي تنظر وجلة في الفضاء فاخذتُ يدها بيدي لاقبلها فامتنعت وتراجعت الى الوراء وقالت لي :

اصفح عني . اغفر لي . ولكن يجب انك تعرف الحقيقة يا رامح . لقد خدعتك حين اقسمت لك اني احبك — انني لم احبك قط — لقد احببت شخصاً سواك تملك

فؤادي وسدّ عليّ منافذ قلبي وسلّط عليّ من غرامو قوة استبدت بي وقد حاولت كثيراً ان احارب هذه القوة — جاهدت لافلت من نظراته القوية الساحرة ولما اخفقت في ذلك جئت اليك مستعينة على شهامتك ونبلك في ان تغفر لي وتعفو عني وتتركني حرة لا تزوج الرجل الوحيد الذي احبهُ — انا اشعر معك وأتألم لك لكني . . . لكني لا احبك . لقد خدعتك ثلث سنوات فاصفح عني . وقد غدرت بك فتجاوز عن شري وقسوتي

تصور ايها القارئ ما تشاء — لك ان ترى الامر بسيطاً جداً وان تخيل راسم بك خالد ينهض بكبرياء والم فيودع خطيبتهُ و يبارقها و يمضي . لكن اذا كنت قد ذقت طعم الحب ، اذا كنت عرفت اثر الروح في الروح او هيام القلب بالقلب ، حينئذٍ قد تتصور ما تعذر لهُ نفساً تملكها سلطان الحب القهار

وكانت مرغريت تتكلم وانا جالس اصعد الزفرات واذرف الدموع — شعرت في تلك اللحظة كأنَّ ريحاً عاصفة هوجاء تهب على شجرة الآمال التي غرستها بيدي وتعهدتها بدموعي وعواطفي ودموعي فتقتلعها من جذورها وتنثرها في قفر بلقع ، لا أمل ولا طمع لي بالوصول اليها — ولماذا يعيش الانسان اذا لم يكن لهُ امل يعيش لاجله !

كنت أبكي — وكانت مرغريت تبكي ايضاً وتردد بقساوة والم انها لا تحبني وانها تريد قطع كل ما ارتبطنا بهِ من العهود وهي لا تدري ما لكلامها من الاثر والوقع في نفسي — بلا جدوى جادلتها وحاولت تغيير افكارها — ايتها السماء — ما هو نوع الحب الذي انزلتهُ على دماغ المرأة ؟ ايتها الآلهة — لكن أين هي الالهة — أنها لا تستمع بني البشر واذا سمعت فلا تجيب

فارقت مرغريت على ان أعطيها الجواب الاخير في نهاية اسبوع . خرجت من دارها في الجزيرة اتمشى على ضفاف النيل — وقد عزمت ان اشفق على عواطف هذه الفتاة التي احببتها وعبدتها — عزمت ان اقطع كل علاقة لي بها واتركها حرة لتتزوج من تشاء . وطدت النفس على مساعدتها بكل نبل وشهامة حتى اذا احتاجت الى المال لكي تسافر مع من تحب لما امتنعت عن تقديمهِ بكل سخاء وبهجة — تذكر ايها القارئ — كنت قد عزمت عزماً قاطعاً على الاحسان اليها والرفق بها رغم انها خدعتني ثلث سنوات متوالية . وكانت آلام اليأس والشقاء والفكر قد اتعبتني واضنتني فجلست على مقعد صغير بجانب « كبري » قصر النيل وأنا منهوك القوى خائر العزم وكان الليل قد ارخى سدولهُ والقمر جلالاً في السماء كأنهُ بين الكواكب مليكها فاستسلمت للنعاس ولم افق الاَّ

و يدٌ على كتفي وصوت رنان يقول لي :

راسم بك — يا دنيا — ما لي اراك مختفياً في زاوية صغيرة من هذه المدينة الجميلة — انت يا صديقي — انت في غناك الواسع المفرط — ومنصبك الرفيع وجاهك العريض — أنت — أنت تلجأ الى النوم كالفقراء أمثالي على المقاعد العمومية في زاوية منفردة بينما سلامه حجازي بصوته الرخيم المطرب يملأ المدينة هناء وسروراً — وتوحيده تنشد فتطاطئ لها الرؤوس لذة وطربا

التفتُّ لارى صاحب الصوت فعرفتهُ — حسن حسني — ومن لا يعرف حسن حسني في مصر . كان والدهُ حاكماً من اكبر حكام الاقاليم في القطر المصري بمصر اما امهُ فهي ابنة ضيا باشا العالم التركي والسياسي العظيم المعروف . لكن حسني هذا لم يرثْ من والديهِ سوى المال فبذّرهُ ولم يبق لهُ سوى مورد ضئيل من وقف قديم لاحد جدوديهِ — وقد كنت اشفق عليهِ واحسن اليهِ

دهش حسن حسني لسكوتي فجلس قربي وقال بصوت خافت :

ما الذي جرى يا راسم ؟ هل ضاربت في البورصة ؟ هل اضمت مالاً ؟ هل تقلوك من مصر وابعدوك عن خطيبتك الفاتنة ؟ هل انت مريض وهل تشكو المّا ؟

لا هذا ولا ذاك . لم اخسر مالاً ولا انا مريض — انما انا يائس تاعس فاتركني يا حسني واذا بهِ قد وقف وصاح صيحة ابتهاج كمن تذكر شيئاً هامًّا

عندي لكل داء دواء — دواء للقامرين الذين خسروا الاموال والثروات ، دواء للمرضى والمتألمين ، دواء للكتاب والشعراء المفلسين ، دواء للغرميين البائسين الذين خانهم حبيب عبدوه — عندي لكل داء دواء

واخرج حسن حسني علبة صغيرة من جيبهِ وافرغ منها قليلاً على ابهامهِ ثم ادناها من انفهِ واستنشقهُ بلذة واطمئنان وارجع رأسهُ الى الوراء ثم هزّهُ هزّاً عنيفاً وغنى بصوت يجمع بين الجد والهزل :

والله يا حكومة — انت الملومة — الملومة — الملومة — آه يا حكومة

فقلت ضاحكاً : ما هذا يا حسني ؟

هذا حياة مصر — اجاب حسني — هذا اكسير شبابها ، هذا فلسفتها وشعرها وغناها ، هذا مدنيتها الجديدة ، هذا نيلها الذي يجري في الاعصاب والشرايين وجميع تلافيف الدماغ . ثم دنا اليَّ و يدهِ علبتهُ الصغيرة وقال :

خذ هذا واطرح عنك هموم الثروة والادب والجاه والعظمة الفارغة والحب الكاذب — خذ ايها الصديق. استنشق هذا الدواء يزل عنك الم الفكر واليأس والحب. هذا الدواء ينقلك من عالم الكذب والرياء والنفاق الى عالم الارواح والخيالات والتصورات واللذات . فاطمئن كأني آلة تتحرك واستنشقت ما قدمهُ لي

ثم تحادثنا قليلاً ثم استنشقنا أيضاً — «تنشيقة» اثر «تنشيقة» الى ان نفد ما معهُ فقال لقد بددت جميع ما املكهُ من هذا « المكيف » العجيب ليغفر لك الله اما انا . .

فقلت ألا تستطيع ان تشتريهِ يا حسني ؟

— استطيع اذا وجدت المال

اخرجت قطعة ذهبية من جيبي عليها رأس نابليون ودفعتها اليهِ من الفرح فهتف

— سأشتري برميلاً كاملاً سأملك ما يكفيني اسبوعاً

وركض حسن حسني الى زاوية الشارع ثم عاد ضاحكاً يقول

لقد ارسلت الخفير لشرائهِ لي وسيعود بجمل جمل منهُ . لكن واأسفاه ، انت قطعتك الذهبية لا تشتري من هذا الاكسير السحري سوى علبة صغيرة مثل هذه . ثم عاد الخفير فطار حسن حسني لاستقبالهِ وعاد اليَّ وهو يقبل العلبة من الفرح والسرور

«تنشيقة» اثر اخرى الى ان خامرني الذهول وسقط حسني بجانبي لا يعي. وكان الليل قد انتصف فناديت حوذيًا فسار بي الى البيت فدخلت غرفتي لا لأنام — بل لاحلم انني منذ تلك الليلة لم اعرف النوم

***

دخلت غرفتي لانام — امتلأ دماغي بالتخيلات والتصورات فرأيت مرغريت جالسة بجانبي تقبلني — ثم رأيتها غاضبة تحدق بي وتقول انها لا تحبني وانها تحب سواي. نهضت من فراشي مذعوراً كالمجنون . وضعت اصابعي حول عنقها الناعم الجميل وضغطت عليهِ الى ان سقطت على الارض جثة هامدة . اخذتها ثانية بين يدي وامرتها ان تعود الى الحياة ففعلت. كنت اضحك ضحكاً عالياً واقول لها خير لك ان تموتي قبل ان تحبي سواي

ورأيت نفسي في وزارة الاوقاف ايضاً . وتصورت انني عضو في الوزارة الجديدة اجادل اللورد كرومر في امور تختص بالاصلاح . وبقيت كذلك الى ان دخل والدي في الصباح وقد استبطأ نهوضي كالعادة — اي حنان في نظرات ذلك الوالد المحب واي لطف في توبيخهِ القارس ! اما انا فصحت بوالدي قائلاً — اخرج يا احمد

عبثاً حاول ان يكلمني او ان يفهم شيئاً من امري فخرج . ونهضت قبل منتصف النهار فلم اذهب الى عملي في الوزارة بل انصرفت ابحث عن حسن حسني لكي يشتري لي اكسيراً كالذي تعاطيناهُ امس فلم اجدهُ قبل المساء فذهبنا الى مكان منفرد على ضفاف النيل وجلسنا نتشمش ونتحادث . وسعى والدي ليحادثني فكنت افر من وجهه وارفض الكلام معهُ

وكان موعد الاسبوع الذي ضربتهُ لمرغريت قد انتهى . وفي خلال هذه المدة كان دماغي قد امتلأ بشياطين الكوكايين لاني كنت قد تدربت اسبوعاً كاملاً تحت يدي حسن حسني واصبحت كالالف من امثاله الفيارين — عبداً للكوكايين

***

قلت لحسن حسني وقد جلسنا ذات مساء على العشب الاخضر في مكان منفرد من الجزيرة انزى ذلك البيت الكبير ، خذ هذه البطاقة اليهِ واطلب مقابلة المدام وزال — مرغريت وسلمها اليها يداً بيد وانتظر الجواب وكنت قد كتبت فيها ما يأتي :

مرغريت — اريد ان اراك لاودعك الوداع الاخير واقول لك كلمتي النهائية . تعالي مع حامل جوابي الى حيث انا في انتظارك راسم

وعاد حسني بعد قليل يقود وراءهُ مرغريت وهي بثوب ناصع البياض من الحرير الشفاف ولها جمال فتان يسبي العقول والقلوب — لم تعرفني حين رأتني لاول وهلة ثم صاحت دهشة مذعورة خائفة

ثم قلت متألماً ، هذا ما فعلهُ حبك بي . انهُ سيقودني الى الخراب ، الى الدمار ، الى الموت

بكت بصوت عالٍ فكدت اشفق عليها واشير عليها بان تعود . لكن شعرت ان جميع شياطين الكوكايين تصيح بي صارخة : الى الموت

اخذتها بيدها فتبعتني كالطفل واشرت الى حسني ان ينتظر وربما اعود . مشينا على ضفاف النيل الى المكان السري الذي كنت اجتمع فيهِ بحسني فقالت

— الى اين تذهب بي يا راسم

وددت لو استطيع ان ابكي — لكن دموعي تحجرت فلم اجد للبكاء سبيلاً — وددت لو اعيد مرغريت الى اهلها واعفو عن اساءتها لي لكن شياطين الحشيش صاحت بصوت كالرعد انقاصف — الى الموت — الى الموت — وانا اصبحت عبداً لهذه الشياطين

ركعت على الارض وامرت مرغريت ان تجلس امامي ففعلت — هل صممت على تركي يا مرغريت — هل عزمت عزماً قاطعاً على الزواج بغيري ؟

اغفر لي يا راسم — اشفق عليّ — ان للحب سلطاناً هائلاً على القلوب وانا قد احببتهُ فلا اسعد مع سواهُ افضل الموت . . . افضل الشقاء معهُ على الثروة والجاه مع سواهُ

اذاً نسيت انني انا ايضاً احبك وانني افضل الموت والشقاء والعار على ان اعيش مع سواك او ان اراك زوجة لغيري — الى الموت اذاً

ثم القيت نفسي عليها وقبضت على عنقها الجميل فحاولت انْ تصيح وتستغيث ولكن على غير جدوى . تشنجت تشنجاً عنيفاً ونظرت اليّ نظرات التضرع والاستعطاف ، اما انا فلم تحركني تلك النظرات فلم اشفق ولم ارحم

ضغطت بعنف متزايد — وكانت مرغريت تجاهد بكل قوتها تحاول الافلات ، فقد كانت صغيرة تحب الحياة وتكره ان تموت — لكن اني لها ان تفلت من يدي مجنون !

اشتددت في القسوة عليها وتمكنت اصابعي من عنقها فضربت الارض برجليها ووضعت اصابعها في وجهي وعيني وعنقي لتتخلص من قبضتي

ونظرت اليها للمرة الاخيرة فرايتها جميلة ساحرة فكدت اشفق عليها واتركها — لكن — لكن شياطين الحشيش والكوكايين كانت تصيح بي — اقض عليها — اقض عليها ولم تكن الاّ هنيهة حتى قضي الامر

رفعت يدي فسقطت مرغريت على الارض جثة بلا حراك . لم ادرك ما فعلت ولم اصدق انها ماتت . فانحنيت عليها اهزها واطلب اليها في حنوّ واستعطاف ان تنهض وتكلمني فاعفو عنها ، كنت ابكي واناديها مرغريت ! مرغريت ! انا لم اقتلك ، انهضي ، افتحي عينيك ، كلميني ، اني احبك ، اني اعبدك ، مرغريت ، مرغريت ، لا تموتي ، انهضي وكان صدى صوتي يعود اليّ شجياً عنيفاً

***

واستطال حسن حسني الانتظار فجاء يبحث عني فابصر الجثة ورآني راكعاً امامها ابكي فقال ما هذا ؟

فضحكت قائلاً — لا ادري لماذا ماتت ! لقد وضعتُ اصابعي حول عنقها وضغطت قليلاً فسقطت على الارض بلا حراك كما ترى . فصاح حسني ايها المجرم القاتل السفاك لقد خنقتها وستنام الليلة في القسم ويقودونك غداً الى المشنقة

وقفت منفعلاً وقلت ان تصبي لتروق الى المشنقة يا حسني وخير لي ان اموت . لقد اصبحت حياتي تافهة لا معنى لها . اقسم لك اني قتلتها وانا لا ادري — انت ، اكسيرك

الابيض الناعم هو الذي قتلها

اذاً انا المجرم القاتل ! وانا الذي سأذهب الى القسم والمشنقة ! ويلاه — من ارسلك اليّ يا راسم ؟ تعال نخفي الجثة الى منتصف الليل ثم نرميها في النيل. خذ تنشيقة فتنشط وتستيقظ

وفي منتصف الليل حملنا مرغريت بين يدينا ورمينا جثتها في مياه النهر المقدس الخالد التفت للمرة الاخيرة فابصرتها طافية على وجه الماء وشعرها الطويل يتموج مع طيات المياه والامواج

مرغريت ! مرغريت — صحت باكياً متألماً — لقد كنت سبب جنوني وخرابي . . وأرتج عليّ فاجهشت بالبكاء وسقطت الى الارض

وتقدم حسن حسني وهو يرتجف من الخوف وصاح بي

ايها المجنون — لقد قتلتها وجئت تبكي — تعال نهرب الى حيث لا يرانا احد . ان لي غرفة عالية منفردة في جوار سيدنا الحسين فتعال نسكن هناك. الا تعلم ان سر الجريمة ينفضح غداً فيفتشون عليك في كل مكان ؟

وتناولنا تنشيقة اخرى ثم سرنا في ظلام الليل الى حيث يسكن حسن حسني

كانت غرفتهُ ضيقة قذرة لكنها مناسبة جداً للحشيش فاختفيت فيها عن العيون والارصاد وبقيت سنتين كاملتين لا اجرؤ ان اخرج بعيداً خشية ان يصادفني احد يعرفني . وكان شعر رأسي ووجهي قد نمى واستطال وتغيرت هيئتي فاصبح من المتعذر ان يعرفني حتى اقرب الناس اليّ

وكان حسني يخدمني كل هذه المدة ويحضر لي جميع ما احتاج اليهِ — وهل كنت احتاج الى شيء سوى بعض الخبز وجرعات متوالية من الكوكايين ؟

وبعد سنتين مات حسني متأثراً من السكر والكوكايين — مات وتركني وحدي اطوف شوارع القاهرة ليلاً فاذا جاء النهار عمدت الى مخبأي وبيتي . ونسي الناس امر الفتاة التي وجدت غريقة في النيل ونسي الناس راسم بك خالد وحسبوهُ في عداد الاموات

نعم مات راسم — مات في نظر الفضيلة والشرف — مات في نظر اهلهِ ومعارفهِ واصدقائهِ — لكنهُ لا يزال حيًّا في نظر الكوكايين والحشيش يطوف شوارع القاهرة على غير هدى فاذا عاد الى غرفتهِ استلقى في سريرهِ على سبيل العادة ، لا لينام ، بل ليخيل ويحلم

مصر توفيق مفرّج

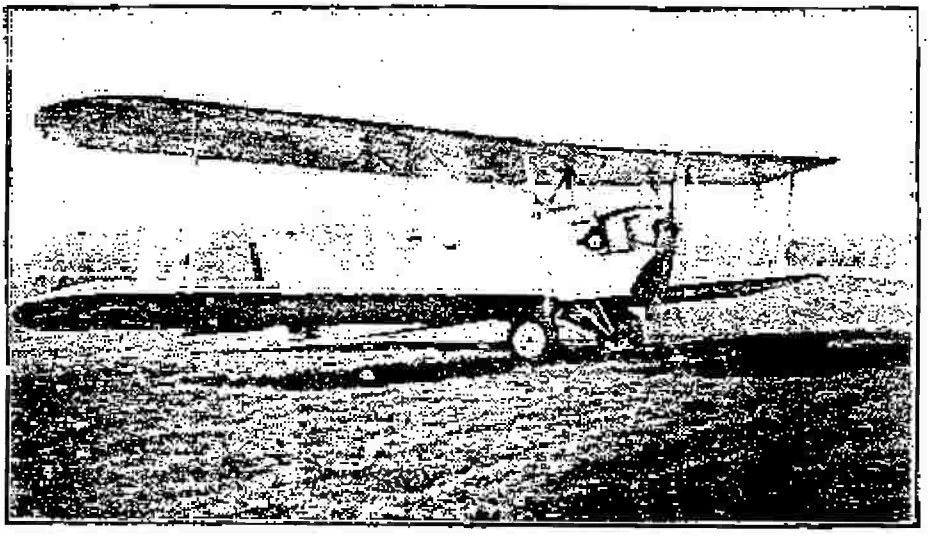

الطيارة التي حلق بها الملازم مكريدي الى علو ٣٨٧٠٤ اقدام

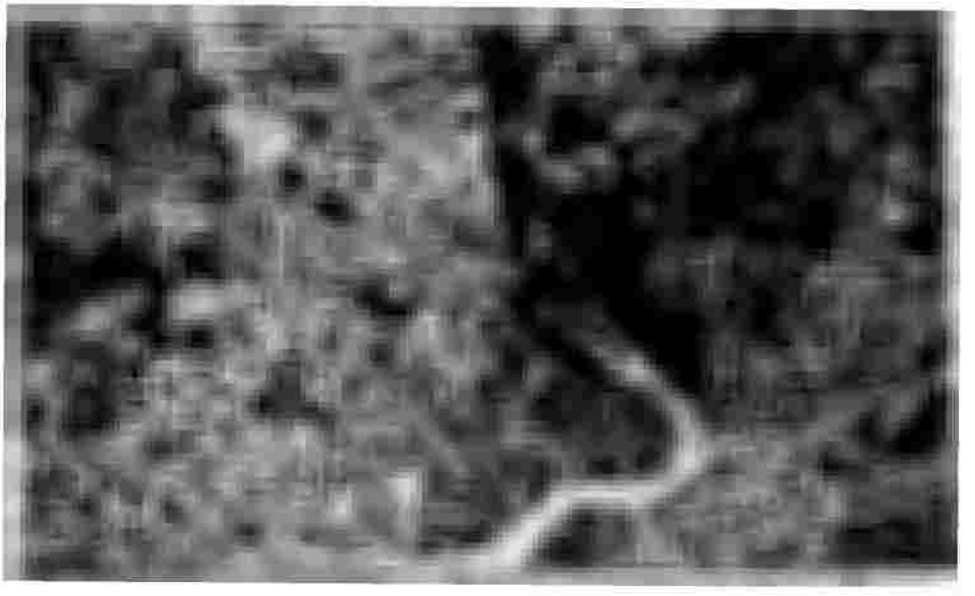

صورة مدينة ديترون صورت من طيارة على ارتفاع ٣٢ الف قدم فوق سطح البحر